# ناهـــد...

أقصوصة مصرية

بقلم الأستاذ محمد فتحي أبو الفضل

كان ذلك صيف العام الماضي ...

وكنت أقضي بضعة أسابيع في الأسكندرية بعد أن أعلنت نتيجة الامتحان فأصبحت أحمل لقب « دكتور جمال عبد المجيد »

كانت أمسية صافية من أمسي يوليو المقمرة. غادرت المنزل الذي كنت أقضي إقامتي القصيرة به — على أمل أن ألتقي بعقيلة سامي ابنة المرحوم عبد المنعم سامي باشا ... التي كانت في حكم خطيبتي. سرت على مهل إذ لم يكن لدي ما يدفعني للسرعة فإن موعد عقيلة لن يحل قبل ساعتين ... وأخذت أتصفح وجوه المارة في ذلك الشارع الراقص الذي يحازي شاطئ البحر ... كانت السيارات تندفع مسرعة بعضها إثر بعض حاملة شيئاً من اثنين : إما عاشقين تملين بنشوة اللقاء، وإما عاشقاً واحداً أطلق لسيارته العنان يستحثها على السرعة ليلقى فتاته في الموعد الذي يعرفه هو ولا يعرفه أحد سواه ... وأخرجت لفافة أخذت أدخنها في بطء، وأنا أتأمل الوجوه التي كانت تمر أمامي إلى أن لاح لي عن بعد قوام رائع التكوين ارتدت صاحبته ثوباً صافي الخضرة وأمسكت بيدها قبعتها الصغيرة وأخذت تطوح بها في حركة عابثة رشيقة فظهرت خصلات شعرها الأسود المنساب على كتفيها في دلال والذي كوّن مع جيدها العاجي تحفة رائعة من العاج المطعم بالأبنوس. كانت مديدة القامة في روعة فائقة ممتلئة الجسم في غير إفراط. كانت أنثى، أنثى بكل ما تحويه الكلمة من معان .. وتلاشت من مخيلتي في لحظة واحدة صور الفتيات الجميلات اللائي مررن عليّ أثناء وقوفي إذ لم تدع فتنتها مكاناً من نفسي لغيرها .. واقتربت الفتاة مني ولم تكد تراني حتى توقفت عن المسير وحدقت فيّ بعينين سوداوين عميقتين بان فيهما ألم بعيد، ثم رفعت حاجبيها اللامعين وهي تتمتم في صوت خفيض كله دلال وسحر : جمال ! . . . وأذهلتني المفاجأة ولكن سرعان ما استعدت في ذاكرتي صوراً سريعة من الماضي إلى أن وجدتها . وقبل أن تتم قولها : (ألا تتذكرني ؟) كنت أمد يدي مصافحاً وأنا أقول :

— ناهد ! كيف حالك ؟ أهلاً أهلاً ... فرصة سعيدة جداً ... إلى أين أنت ذاهبة ؟

— لست أقصد مكاناً

واندفعت الذكريات إلى رأسي أيام كنا نقطن شارع الملك بالقاهرة ، وكان يقطن بالمنزل المقابل المرحوم عثمان رضا بك والد ناهد ، وأحد تجار الأخشاب الذي ذهبت ثروته عقب صفقات خاسرة زعزعت مركزه المالي في السوق ، ثم قضى بعد ذلك بأشهر قلائل . ولم يكن للفتاة غير شقيق واحد يشغل إحدى الوظائف بجمرك الأسكندرية ؛ فأخذ شقيقته معه ثم انقطعت بعد ذلك صلة أسرتي بهما . وانقضت بعد ذلك خمسة أعوام لم أر فيها ناهد أو شقيقها إلى أن ألقت بها الظروف في طريق هذه الليلة ...

وتعلقت بذراعى وهى تسألنى عن أفراد أسرتى : والدى ... والدتى ... أشقائى وشقيقاتى. وامتد بنا الحديث وتشعب إلى أن وجدنا أنفسنا أمام ذلك المقهى المعروف باسم (فلوريدا) وأحسست منها ميلاً لأن نقضيه فنمضى بعضاً من الوقت إلى جانب إحدى موائده الصغيرة المتناثرة ... وكنت إلى هذه اللحظة لم أسألها عن أحوالها الشخصية إذ أنها لم تترك لى تقريباً طوال الفترة التى انقضت منذ التقينا ـ فرصة لإلقاء مثل هذه الأسئلة ـ فبعد أن انتحينا مقعدين ناثيين فى أحد أركان المقهى الكبير وجدتها تسألنى:

— جمال ... كيف حالك مع خطيبتك عقيلة ؟ ألم تتزوجا للآن ؟

ولكن بدلاً من أن أجيبها على سؤالها قلت لها :

— إنك لم تخبرينى يا ناهد عن حالك وحال أخيك ... لاحظت أنك لم تدعى لى فرصة لأن أسألك عن شىء ... هيا ... حدثينى عن نفسك . إننى فى شوق لسماع الكثير عنك وعن أخيك ... ألا يزال فى ( الجمرك ) ؟

— إننى لم أره منذ أمد بعيد

— من ؟

— أخى

— سالم ؟

— وهل هناك غيره ؟ ...

— ولكن كيف ؟

— أوه ... إنها قصة طويلة يا جمال

وأطرقت ناهد قليلاً ثم رفعت رأسها فجأة وهى تقول فى لهجة غريبة :

— اسمع ... ألا تزال تحب عقيلة ؟

— طبعاً ، ولكن لم هذا السؤال ؟ !

— أجب أولاً ...

— نعم ... يقيناً أحبها

— ولكنك تعرف أن « مصطفى » أحد أبناء خالتها يحبها حتى الجنون ... ألا يمكنك أن تتركها ليتزوجها ؟

— والله .. إذا راق لها أن تتزوج من مصطفى فهى حرة

— وأنت ... ماذا يكون موقفك لو أقدمت هى على هذا العمل ؟

— لا شىء ...

— مطلقاً ؟ !

— لست أدرى

— ألا تتزوج ؟

— لست أدرى

— وإذا تقدمت أنا إليك راجية أن تتخذنى زوجة ... ألا تقبلنى ؟ أجب ... ولكن فى صراحة

ودهشت أنا لهذه الأسئلة الغامضة التى كانت تلقيها ناهد علىّ فقلت لها :

يبدو لى يا ناهد أنك تخفين عنى أشياء أرجو أن تصارحينى بها أولاً ثم بعد ذلك يمكننى أن أجيبك على كل ما تريدين

وأخرجت الفتاة منديلاً صغيراً أزالت به دموعاً تساقطت على وجنتيها الجميلتين وهى تقول فى صوت مختنق : إننى ... إننى أبحث عن ... عن رجل ... لا تأخذك الدهشة ، فهذه هى الحقيقة !

وذعرت أنا لهذه الكلمات ، وأيقنت للتو أن ناهد رضا ابنة المرحوم عثمان رضا بك تاجر الأخشاب الذى جاور أسرتنا طويلاً فى القاهرة ... تعانى العجز

فى اجتياز مرحلة من أدق وأخطر المراحل التى تصادف فتاة قسا عليها القدر ، فاقتربت منها وقد أثار حديثها شفقتى ، فأخذت تسرد لى مأساتها الدامية :

كان ذلك منذ عامين عندما توفى أبى ، ثم جاء بى أخى سالم إلى هنا كما تعلم ... لم أكن أعرف أحداً فى الأسكندرية ، ولكنى لم ألبث أن صادفت فتاة كانت تكبرنى بعضة أعوام ... وتبودلت الزيارات بينى وبينها ... فكانت النتيجة أن شغف بها أخى فخطبها لنفسه ، ولم تمض أشهر حتى تم زفافهما ، وأصبحت صديقتى ( امتثال ) زوجة لأخى. لايمكنك أن تتصور كيف كان فرحى بهذا الزواج ، والفضل فى إتمامه لم يكن إلا لى أنا وحدى. كنت سعيدة فرحة بصديقتى وزوجة أخى التى كنت أثق أنها تبادلنى حباً بحب . . . ولكن فى لحظة واحدة تبين لى مالم أكن أفكر فيه مطلقاً ، وهو أن صديقتى وزوجة أخى كانت برمة بى وبإقامتى بمنزل أخى الذى ليس إلى سواه ، فقد هيأت لى مصادفة لم تكن فى الحسبان سماع هذا الحديث بين أخى وزوجته :

— تقدم إلى يا امتثال رجل يروم الزواج بناهد

— شىء جميل ، أسرع بإجابة طلبه ، إن ناهد عروس نادرة !

— ولكن !

— ماذا ؟

— إنه شيخ !

— شيخ ! تعنى أنه بلغ المئة ؟

— لا، لست أقصد ذلك، إنه يربو على الخمسين. حقيقة إنه يشغل منصباً ممتازاً فى البنك الألمانى براتب يكفل لها السعادة ... ولكن لا تنسى يا امتثال أن ناهد لم تكمل الحادية والعشرين إلا منذ أسابيع

— أنا لا أفهم كلاماً كهذا. إن هذا لا يعيبه. إنك تكبرنى بأكثر من خمسة عشر عاماً يا سالم . إن ناهد لم تعد صغيرة ومطالبها أيضاً ليست بالهينة ، والستة عشر جنيهاً التى تتقاضاها لا تحتمل هذا الإرهاق لا سيما بعد أشهر فسيكون مولودنا قد رأى النور. أنت نائم ! ( جوزها ) يا شيخ ... هى تستريح ونحن أيضاً نستريح ... إنك لا تدرى كم أعانى من التضييق فى المصروف ... هيا هيا ... توكل على الله ... إن الشبان قد أعرضوا عن الزواج فى هذه الأيام ... حد لاق !

سمعت هذا الحديث فأحسست بخيبة مرة أليمة، فقد تحطم ذلك المثل الكامل الذى كنت أعبده فى شخص امتثال ، وعرفت قيمة حبها لى عند ما تبينت أنها لم تصادقنى إلا من أجل شقيق ... أمضيت هذه الليلة فى غرفتى وقد أنهكنى البكاء الذى دام إلى الصباح . وأحسست بكرامتى تهيب بى أن أقف موقفاً أصون به هذه الكرامة من أن تمس بسوء، فمنذ مافاتحتنى زوجة أخى فى الموضوع أظهرت لها ارتياحاً كبيراً لهذا الغرض ، بل تماديت فى إظهار فرحى إلى أبعد حد ... أحنيت رأسى وقبلت الزوج الكهل مرغمة إذ لم أرض لنفسى البقاء فى دار لا ترغب ربتها فى بقائى حتى ولو كانت هذه الدار دارى

* * *

وانقضى عام ولدت أثناءه « سامية » وكان فرحى بها فوق الطاقة فقد عوضتنى عن عام طويل شاق قضيته إلى جانب زوج كهل متهتك لم تكد تمضى أربعة أشهر على زواجى به حتى عاود سيرته التى

اعتادها طوال حياته من السهر والتنقل بين أذرع بائعات الهوى ... كانت سامية عزائى الوحيد عن شبابى الذى دفعته ثمناً لكرامتى واعتزازى بكبريائى . حاولت أن أصلح من أمر زوجى ولكنى كنت كمن يطفئ النار بالزيت ... إلى أن تراءى إلى سمعى أنه اختص إحدى راقصات ملهى كبير فى الإسكندرية بحبه وماله ووقته ... كانت هنغارية على ما سمعت وقد علمت أيضاً أنها أخذت تغريه على أن يقدم طلباً بنقله إلى فرع البنك بالقاهرة حتى يتسنى لها أن يعيشا بعيداً عنى

وأصيبت سامية فى هذه الفترة بالدفتريا التى لم تمهلها أكثر من أسبوع فقدتها ففقدت العزاء الأخير الذى كان باقياً لى فى الحياة . . .

ولم تكد تمضى أيام قلائل على وفاة سامية حتى طلب إلى زوجى أن أقضى بضعة أيام بمنزل أخى حتى يتسنى لى أن أتعزى عن مصابى ... كان نذلاً إذ لم يترفق بزوجة أمضت إلى جانبه أكثر من عام كانت أثناءه مثال الطاعة والوفاء فلم يمهلها بعد أن فقدت طفلتها التى تعبدها فأرسل إليها وثيقة الطلاق ولما يجف بعد لحد ابنته ... أرسل إلى وثيقة الطلاق ومبلغاً ضئيلاً مضافاً إليه متأخر صداق حتى لا ألجأ إلى القضاء . . . لم يكن ألمى لهذه النهاية شيئاً يذكر إلى جانب شىء واحد وهو أننى عدت ثانية إلى منزل أخى الذى باعنى سلعة رخيصة بعد أن زينت له زوجته هذا البيع دون أن أجنى شيئاً ، ولكننى يتيمة يا جمال . . . واليتيم دائماً ثقيل الحمل ولو على أقرب الناس إليه .. وكانت امتثال زوجة أخى قد أنجبت فى هذه الفترة ولداً اسمه عادل شاءت الظروف أن يصاب بالدفتريا بعد إقامتى بينهم بشهرين اثنين قاسيت فيهما ألواناً من المرارة ... أصيب بالدفتريا ولحق بابنتى سامية ... وهنا فقط يا جمال رأيت زوجة أخى وصديقتى السابقة تلبس جلد نمرة غادرة وتعلن فى جرأة وثقة أننى السبب فى وفاة ولدها لأننى حملت المرض من سامية فانتقلت العدوى إلى عادل . . . وثارت المرأة وفاهت بألفاظ كنت أود أن أنزهها عنها ... ألفاظ ختمتها بقولها وهى تصرخ فى بشاعة :

— أنت خربت بيتى . أنت شؤم على بيتى . لولاك لما مات ولدى . لقد كنا فى راحة طوال بعدك عنا . تأكدى أننى لن أمكث فى بيت تضمك جدرانه

ولعلك يا جمال تسألنى عن موقف أخى فى هذه اللحظة ، وأنا أسرع فأقول لك والحزى يخفض من رأسى إنه انضم إلى زوجته فى كل ما رأت وفى كل ما قالت وكأنه أراد أن يسبغ على الموقف لوناً من البساطة فانتحى بى جانباً وأفهمنى فى عبارة قصيرة أن أستأجر منزلاً ، وأنه سيتردد على دائماً ، وأن ما معى من النقود سيكفل لى حياة سعيدة إلى جانب ما سيمدنى به إذا ما أعوزتنى الحاجة ... لم أكن فى حاجة إلى سماع هذا الاقتراح منه بعد أن كنت قد صممت على ترك المنزل إلى حيث لا رجعة، فتركته بعد أن أتم حديثه دون أن أعلق بكلمة واحدة . ونظرت إليه نظرة طويلة حملتها كل معانى الاحتقار أرسلتها إليه فشملته من رأسه إلى قدميه. لم يكن لدى متسع من الوقت لأن أفكر فى الذى سأصنعه بل أسرعت بجمع كل ما يخصنى فى المنزل وقصدت أحد الفنادق المتوسطة فاستأجرت إحدى

عرفه المنعزلة بعد أن غيرت اسمى الحقيقى . كنت قانعة راضية بعد أن لفظنى بيت أخى . لم أكن أملك إلا البكاء . ولم أكن أغادر المنزل إلا فى القليل النادر لمزاولة رياضتى المحبوبة ، وهى السير فى طريق ( الكورنيش ) كما قابلتنى الليلة ... دائماً وحدى ... لم أتخذ صديقة بعد أن علمتنى امتثال ما هى الصداقة؛ وأظنك ستدهش إذا أخبرتك أننى لم أر وجه أخى سالم طوال هذه الفترة . خمسة أشهر تقريباً انقضت علمت بعدها أنه نقل إلى ( جرك ) بور سعيد دون أن يكلف نفسه عناء البحث عنى ليودعنى قبل سفره .

إلى أن كان ذلك اليوم الذى أتى فيه لزيارتى فى الفندق أحد من يمتون بقرابة بعيدة إلى والدى ، وعرض علىّ أن أنتقل إلى داره ، وأظهر لى ما فى إقامتى فى الفندق من عار لا يحتمله ... رفضت فى بادئ الأمر ... رفضت فى إباء واعتزاز ، ولكنه سد علىّ كل السبل ، وأفهمنى أن رفضى هذا لا محل له ، وأنه سيكون لى بمثابة الأب ، أو على الأقل بمثابة الأخ الأكبر ، وخصوصاً أن والدته ستكون معى فى المنزل . واستعرضت حالتى على ضوء الحقيقة التى لا زيف فيها ، فوجدت أن المال الذى كان بين يدى قد تسرب ، فلم يعد لى منه إلا بضع ورقات ، لن تبقى إلى أكثر من شهر أحس بعده بالحاجة ، ففضلت أن أذعن لمشورته ، وقبلت ذلك العرض شاكرة له جميله ... انتقلت إلى منزل ذلك القريب بعد أن دفع عنى لصاحب النزل حساب الأيام التى أمضيتها من الشهر . . .

وبدأت مرحلة جديدة من الحياة ، لم يكد يمضى شهر على انتقالى إلى منزل ذلك القريب ، حتى شعرت بأنه بدأ ينظر إلىّ نظرات غريبة ، فيها الرغبة وفيها الاشتهاء ، وفيها كل ما يمكن أن يقال عن نظرات يسددها رجل إلى فتاة شابة لم تتعد الثالثة والعشرين ولم يستح الرجل من أن يغازلنى مغازلة بدأت هادئة لينة خفية ، ثم أصبحت ثائرة جريئة وقحة عندما رأى منى الإعراض التام ... إلى أن كانت تلك الليلة التى استيقظت فيها من فراشى مذعورة ، عندما أحسست بيدين تلمسانى ، وأضأت المصباح بسرعة ، فإذا بذلك النذل واقفاً وقد تأهب لمهاجمتى ، ولكننى أفلت بسرعة ورفعت يدى وأهويت بها على وجهه فى غيظ ، ولم أتمالك من أن أصيح به :

— يا نذل !

وأهاج هذا شعوره فظهر لى على حقيقته وحشاً آدمياً مجرداً من ذلك الإهاب الزائف الذى كان يرتديه يوم أن طلب إلى الانتقال إلى داره ... وسمعته يقول فى صوت مختنق :

— لقد آويتك يا فاجرة فى منزلى بعد أن طردك أخوك وهو أقرب الناس إليك فكان هذا جزائى منك . . . إن أخاك لم يطردك عبثاً . . . لقد طردك بعد أن لوثت اسمه وصارت سيرتك فى كل الأفواه.

فلم أتمالك أن صحت به فى أنفة : ( اخرس . . . )

ولم أطق البقاء تحت سقف هذا المنزل فجمعت كل مالى وبارحته دون أن يشعر بى أحد . كانت عقارب الساعة تقترب من النصف بعد الثانية عشرة ولم أجد من نفسى الشجاعة على العودة إلى النزل الذى كنت أقطنه من قبل فقد خجلت أن أقابل

صاحبه فتندفع إلى خيالاته الظنون

قصدت إلى نزل آخر أكثر تواضعاً من الأول وخصوصاً عند ما بحثت فى محفظتى فلم أجد بهـا أكثر من ثلاثة جنيهات وبضعة قروش . . . وألقيت بنفسى على الفراش وأخذت أبكى دون أن أتمكن من الإجابة على سؤال واحد ظل يراود خيالى: « ألا يوجد من يقدم مغروفاً دون أن يتقاضى الثمن ؟ ألا يمكن للرجل أن يتقاضى ثمناً غير هذا الذى كان يود اغتصابه ذلك القريب ؟ » وغلبنى النوم فلم أصح إلا فى صباح اليوم التالى

وهنا زفرت ناهد زفرة طويلة حادة وقد غلبها البكاء ثم تناولت كوباً من الماء ورشفت منه رشفة وعادت تقول :

— لقد مضى على شهر فى ذلك النزل ، ولقـد تصرفت اليوم فى آخر قطعة فضية أملكها من ذات العشرين قرشاً . ولست أدرى ماذا يصنع بى الغد ... إننى أبحث الآن عن رجل يتزوجنى ياجمال . إسمع ... لتكن أنت منقذى من الهاوية ... إننى على استعداد لأن أذهب إلى عقيلة وأقنعها بالزواج من ابن خالتها الذى يحبها ... جمال ... أتقبل أن تتزوجنى؟ أنت أعرف الناس بى وبأسرتى ، وإننى أشعر أنك واثق تماماً من أننى لم أتلوث ... ألا ترانى جديرة بك ؟ تكلم

— الواقع يا ناهد ...

— ماذا ؟ تكلم ...

— لست أدرى ماذا أقول ... كنت أتمنى طبعاً أن أحقق ما تعرضين ولكنى ...

— ولكنك لا تستطيع ... أليس كذلك ؟

— لقد إرتبطت مع عقيلة وأعطيتها وعداً فأنت ترين أننى كرجل شريف لا ينبغى أن أحنث فيما وعدت

— أترك لى تدبير هذا الأمر ... سأقابل عقيلة وسأقنعها ... إنها صديقتى كما تعلم ... أترك لى هذا الأمر ...

— ثم لا تنسى أننى أحبها يا ناهد منذ خمس سنوات منذ أن كانت أسرتها تقطن حدائق القبة بالقاهرة ...

— جمال ... إننى أرجوك ... أنقذنى ... أوه ... إنك لا تدرى أى مصير أليم أنا مسوقة إليه

— أنا واثق من قرب الفرج يا ناهد ... لا تقلقى ... يعز على كثيراً ألا أحقق رجاءك ولكن ما حيلتى ... ؟

— أترى ... إننى أتوسل إليك ... ألا يمكنك التضحية بحبك من أجل ناهد ... ناهد التى عرفتها قديماً ، والتى ربطت الصداقة بين أسرتها وأسرتك فترة طويلة ... كن رجلى ياجمال ... ألا ترانى جديرة بحمل اسمك ؟ ألست أروق لك كزوجة؟ ألا تستطيع أن تحبنى فى المستقبل ؟

وخنقت الدموع الفتاة ... وأخـذت شتى العواطف تتضارب فى رأسى ... إن ناهد فتاة جميلة ، بل إنها ليست عادية الجمال فإننى أتذكر تماماً أن فتنتها قد أخذت بلبى وهى قادمة علىّ فى طريق ( الكرنيش ) هى وحدها التى استرعت اهتمامى دون مئات الفتيات اللائى صرن بى قبلها ؛ ثم إنها تنتمى إلى أسرة طيبة ، فوالدها رجل عرفته أسرتى وعرفته أنا شخصياً جليل المقام اشتهر بالسيرة المحمودة . ثم فوق ذلك إنها تكافح كفاحاً هائلاً لكى تعيش ، فقد قبلت أن تذل كبرياءها وتعرض علىّ هذا العرض . بل إنها توسلت إلىّ ولم يدفعها إلى

ذلك إلا الخوف من أن تجرفها الحياة نحو الظلام .
وقارنت ناهد بعقيلة ولكنى وصلت فى النهاية إلى نتيجة سلبية وهى أن ناهد وإن كانت فتاة تحقق الكثير من أحلام شاب يروم الزواج فيحيا حياة هانئة سعيدة ... إلا أن عقيلة كانت تحتل المكان الأكبر من قلبى ، وإننى لن أتمكن من العيش مع غيرها .. وشد ما تمنيت فى ذلك الحين لو كنت خالى الفؤاد حتى يمكننى أن أسعد إلى جانب ناهد فأسعدها إلى جانبى ، ولكنى كنت قاسياً جباراً فاقد الشعور لدرجة الوحشية ، إذ أننى رغم كل محاولات ناهد اعتذرت لها عن عدم إمكانى تحقيق أمنيتها . ثم نظرت فى ساعتى فإذا بموعدى مع عقيلة قد حل منذ عشر دقائق ، وشعرت ناهد برغبتى فى الانصراف فنهضت وهى تقول لى فى لهجة حاولت عبثاً أن تخفى منها رنة الانكسار والألم :

— أستودعك الله يا جمال .. إنه ( مكتوب ) ولا مفر منه

وعند ما وضعت يدها فى يدى لتودعنى أخبرتها بأننى سأقيم فى الإسكندرية إلى منتصف الشهر القادم وأنه يمكنها الاتصال بى فى الفندق الذى كنت أمضى به هذه الأيام فى أى وقت تعوزها الحاجة .. ولما حاولت دس بضع ورقات مالية فى محفظتها أبت وهى تقول :

— لا لزوم لهذا ... سأتصل بك إن احتجت . أشكرك كثيراً ... أشكر جميلك ... الوداع يا سيدى !

— بل إلى اللقاء يا ناهد

— لست أدرى ... الوداع ...

وبارحت ناهد ( فلوريدا ) وأخذ قوامها المديد يختفى بين جموع الناس فى الطريق ... وأسرعت أنا إلى موعد عقيلة وقد كان انقضى عليه أكثر من ثلث ساعة ... انتظرت ما يقرب من الستين دقيقة ، فلما لم تأت أيقنت أنها أتت فى الموعد المحدد فلما لم تجدنى انصرفت ... وآلمنى عدم رؤيتى عقيلة فقصدت إلى شاطئ ستانلى عساى أروّح عن نفسى مما بها ... جلست على أحد المقاعد المتناثرة أمام مقهى ( باسترودس ) وأخذت أرشف قدحاً من عصير البرتقال وأنا أستعرض وجوه رواد المقهى .. ولم يفلح نسيم البحر الليلى الفاتر فى أن يحررنى من ذلك الضيق الذى انتابنى لعدم رؤية عقيلة ، فنهضت عن مقعدى وأخذت أشارك جموع المتريضين فى السير على رمال الشاطئ جيئة وذهاباً ... وامتد بى المسير فى إحدى الروحات إلى آخر الشاطئ من الجهة التى إلى يسار النازل من الطريق العام إلى رمال ستانلى .. وعند آخر ( كشك ) خشبى من ( أكشاك ) الاستحمام اخترقت سمعى ضحكة شككت فى صاحبتها . كانت ( الكابينة ) مغلقة فبدا من خصاص الباب ضوء فاتر ضعيف ... وتسمرت قدماى عند ما عادت الضحكة ترتفع ثانية ، ولكن فى جلاء أكثر من المرة الأولى . وأحسست بدمى يهرب من جسدى عند ما سمعت صوتها ، وهى تقول فى دلال :

— سأخاصمك إن لم تفعل ما قلت لك . هيا . من أجلى ... من أجل عقيله ... وعاد الدم يندفع ثانية إلى رأسى عند ما سمعت صوت شاب يقول :

— وأنا ... أليس لى أن أطلب إليك شيئاً ؟

— كل رغبة لك مجابة

— ألم أطلب إليك أن تقطعى علاقتك بجمال ؟

— أوه لقد انتهينا من هذا الموضوع ووعدتك بتنفيذ رغبتك . . . إنك ترى كيف تخلفت عن ميعاده اليوم

اكتفيت بذلك القدر الذى سمعته، وحملتنى ساقاى إلى أول عربة أوصلتنى إلى الفندق الذى أمضيت به ليلة حالكة السواد . ولاح لى خيال ناهد ، فأشرق وجهى ، وسعدت ابتسامة عريضة إلى شفتى ، ولكنها تلاشت فى الحال إذ تذكرت أننى لم أستفسر منها عن عنوانها ... وعدت أتعزى عن ذلك بأننى لا بد ملاقيها ما دمت أواصل البحث عنها . ومر أسبوع حفيت فيه قدماى دون جدوى ، فقد اختفت تماماً وتعذر العثور عليها ، وآلمنى ذلك الإخفاق المرير ، وتمنيت لو عثرت على ناهد لكى أجثو أمام قدميها لأقدم لها اسمى ومالى وقلبى ، طالباً منها الصفح ، راجياً أن تقبلنى زوجاً. إلى أن كان مساء الأحد من الأسبوع التالى ، وإذا بى أرى ناهد وهى تؤدى رقصة مضطربة على مسرح أحد الملاهى التى تحتشد بها الأسكندرية أثناء فصل الصيف . كانت نصف عارية ، لا فرق بينها وبين أية راقصة أخرى قضت حياتها الأولى فى التسكع على أرصفة الطرقات . وارتعد جسدى إذ ذاك ، وكدت أكذب عينى ، ولكنى أيقنت أنها هى ناهد بعينها عندما جلست إليها لأستفسر منها عما دفع بها إلى هذه الحياة . ومرت ثوان لحظت أثناءها أن دموعها قد ابتدأت تتساقط على خديها الأسيلين ، ثم رفعت رأسها وهى تقول فى صوت خافت ، ولكن فيه عمق وحسرة :

— لا تتألم كثيراً لرؤيتى هنا ، وعلى هذه الحال. إننا لا نملك الآن أكثر من الألم. إن ما مر بى يا سيدى أقل بكثير مما بقى لى فى هذه الحياة، وما لقيت من إعنات أو هى وأضعف مما سوف ألاقى . لقد أعددت نفسى لأن تحتمل الحياة إذا انحدرت بى إلى أكثر من هذا

ولما رأيتها تهم بمغادرتى أمسكت بذراعها ورجوتها أن تستمع إلى ... قصصت عليها ما كان من اكتشافى لخيانة عقيلة ، ثم رجوتها أن ترتدى ملابسها لتستعد لمصاحبتى إلى القاهرة حيث نربط حياتينا برباط الزوجية، لكنها هزت رأسها فى حسرة واندفعت الدموع إلى عينيها ثانية وهى تقول :

— جئت متأخراً ... لقد رجوتك منذ أيام أن تقبلنى زوجة ... أذللت نفسى أمامك ولكنك أبيت فهل خيل إليك أننى أقبل هذا العرض الآن بعد أن اكتشفت خيانة من كانت فى حكم خطيبتك؟ لا يا سيدى ... لقد سقطت ، وإننى أرفض أن أقدم اليك نفسى ساقطة بعد أن رفضت قبولى طاهرة... إننى أخشى أن يجىء يوم تختلف فيه فتذكرنى بأنك انتشلتنى من بؤرة ... ولقد كان من الخير لك ولى أن تنتشلنى من الفقر طاهرة لا أن تقبلنى بعد أن فقدت خطيبتك ساقطة ملوثة . . . لقد دُفِعْتُ إلى هذه الحياة دفعاً لكى أعيش بعد أن انقضى علىّ أسبوع كابدت أثناءه ألم الجوع ولاح لى خلاله شبح الموت مراراً — الوداع يا جمال — لا تتألم كثيراً

فهذه هى الحياة ... قد نلتقى ثانية

وتركتنى ناهد كالمأخوذ واختفت خلف ستائر المسرح استعداداً لظهورها المقبل . وحملنى القطار فى مساء اليوم التالى إلى القاهرة . وعند ما اختفت عنى مبانى الأسكندرية تدافعت دموع الندم إلى عينى ، فقد شعرت أننى الوحيد المسؤول الذى دفع بناهد إلى هذا المصير ، وأحسست بحسرة أليمة عند ما تبين لى أننى رفضت النعمة التى ساقها القدر إلىّ عند ما توسلت إلى ناهد أن أقبلها زوجة فكان موقفى إزاءها هو الذى قذف بها إلى الهاوية

إننى شقى يا صديقى . فناهد الآن تعمل راقصة بينما أشقى أنا بالذكرى وبحبى لها الذى يتضاعف على مر الأيام

* * *

روى لى صديقى الدكتور جمال عبد المجيد فصول هذه المأساة .. وتبينت أنه يعانى ألما هائلا لعدم توفيقه فى إقناع ناهد بالزواج منه. ثم أخذت طبقة لامعة من الدموع تبرق فى عينيه وسمعته يقول فى صوت متهدج:

— لقد رفضت اليد التى امتدت لانتشالها من حياتها الماجنة ، لأن هذه اليد هى نفسها التى أبت أن تمتد إليها لتحول بينها وبين السقوط

لقد عزت عليها كرامتها حتى وهى راقصة !

« الزقازيق » محمد فتحى أبو الفضل

١ = ٣

فى مصانع شركة مصر للغزل والنسج بالمحلة الكبرى آلة لاختبار متانة المنسوجات تعرض تجاربها على كل زائر . وقد أثبتت هذه الآلة أن الثوب المصرى المصنوع فى هذه الشركة يعادل فى متانته ثلاثة أثواب أجنبية — أى أن الثوب المصرى يبقى عليك زمناً تبلى فى خلاله ثلاثة أثواب أجنبية .

فاطلبوا من جميع المتاجر منتجات

شركة مصر للغزل والنسج